بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

أحلى ما سجعَتْ بِهِ بلابلُ الأقلام، وأغلَى ما انتظمتْ فيهِ عُقُودُ البلاغَة والانسِجَام، وأشهى ما ينعت بهِ جَواهر الأدب، حمدُ مولانا الذي شرّف لغة العرب، وأرسل لنا نبيّاً عربيّاً منزّهاً عن جميع الرّيَب، سيدنا محمداً ﷺ ومَن صَحب.

أمّا بعدُ، فهذا كتابٌ سمّيته **جواهِرَ الأدب، في أدبيّات وإنشاء لُغة العَرب** أودَعتهُ ما وقَع عليهِ اختيَاري، لا مِن نَثري وأشعَاري، فليس لي في تأليفِهِ منَ الافتخار أكثرُ من الاختيار، واختيارُ المرء قِطعةٌ من عقله، تدلّ على تَخلُّقِهِ وفَضله، وفضيلةُ هذا التأليف هي في جمع ما افترق، مما تناسَبَ واتّسق، واختيارِ عيون، وترتيب فُنون، من أحاديثَ نبويّة، ومكاتباتٍ أدبيّة، وحكَم بَاهرَة، وأبيات نَادرة، وأمثال شَاردة، وأخبار وَاردة، ووصَايا نافعة وموَاعظَ جامعة، ومُناظرات مُستظرفة، ومقاماتٍ مُستطرفَة، وأوصافٍ عَليّة وخُطبٍ اجتماعية، لينتفعَ به مُقتنيهِ، ويستغني عن غيره الرَّاغبُ فيه؛ إذْ كان أحسَنَ من الزهر والرياض، والحدائق والغياض، والزبرجد والمرجان، والدُّر والعقيان، والأكاليلِ والتِّيجان، والنزه والبُسْتان، إن دُعي أسرع، وإن تحَدَّثَ أمتع، وإن سُئل أجاب، وإن حكم أصاب، جليس لصاحبه في الحضر، وأنيس له في السفر، نديم ظريف، وسَمير حصيف، بالغتُ في تهذيبه، وبذلت مجهوداً في حسن ترتيبه، وأجزلت التّحفة، وانتقيت الطرفة، وبالله نستعين، وَهُوَ حسبنا ونعم الوَكيل.

المؤلف

أحمد الهاشمي

تقريظ وتقدير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب

١ ـ كتب إليَّ صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوي، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح العرب، وعلى آله وصحبِهِ الذين انتهجوا منهج الأدب.

أما بعد، فقد اطلعت على الكتاب المسمَّى «بجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» لمؤلفه الألمعي ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمي، فألفَيتهُ مشتملاً على فن الإنشاء، والأمثال وافياً بالمقصود واسع المجال، صحيح العبارة واضح الإشارة، نافعاً في بابه، مفيداً لمطالعيه وطلّابه. نفع الله به وبمؤلفه ومحبيه، بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه.

٢ ـ وكتب إليَّ أُستاذي الإمام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبِهِ ومن اتبعه فوالاه.

وبعد، فقد اطَّلعت على مجموع كتاب (جواهر الأدب) المنتخب من حدائق العرب، فإذا هو مجموعة لا بأس بها، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها:

كما أَزهرتْ رَوضاتُ حسنٍ وأثمرَتْ فأَضحت وعُجْمُ الطَّيْرِ فيها تُغَرِّدُ

فقد جمع لهم من عيون الكلام وروائع اللفظ ما يحتذون حَذْوه، وينسجون على منواله، حتى لا تستعصي عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها، وبُعَيْدَ أن يصل من يحاول (صناعة الإنشاء) إلى ما يرضى منه بدون أن يرد الطرف في كثير من كلام الفصحاء، ويَرِد من مناهله كل عذبٍ صاف، ويحيط بشيء عظيم من أساليب الكتاب حتى يتشبّع من كلامهم، وتنطبع فيه صورة عن مجموع صورهم، ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب ما يفي لهم بهذا الغرض، حتى وفق حضرة ولدنا الأستاذ (الهاشمي) لسدِّ هذه الثَّلمة بما كابده من التعليم زمناً كبيراً، ولا بدع فخير

الأطباء من عرف حقيقة الداء، فيصف له أنجع الدواء. ولقد عرف هذا الأستاذ العصامي حاجة العصر وناشئتهِ إلى كتاب موضوع على أسلوب عصري يلائم أذواق بني العصر من معلّمين ومتعلّمين، فإذا حاول أهل العلم والتعليم أن يشكروا له صنيعهُ فقد حاولوا عظيماً وطلبوا خطيراً، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله، فالعمل أعرف شيء بجميل عامله، وفقنا الله وإيّاه، لما يحبّهُ ويرضاه، وأسأله أن ينفع بهِ الطلاب، ويجزل فيه الثواب.

٣ ـ وكتب شيخ الإسلام صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبدع مثال، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حدَّ الكمال، ونثر عجائبَ المعارفِ في أرجائه، وغرائب العوارف في أنحائه، والصلاة والسلام على ينبوع العلم و(جواهر الأدب) سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب، وعلى آله وصحبه ذوي المناصب والرُّتب.

أما بعد، فقد تناولت كتاب (جواهر الأدب في إنشاء لغة العرب) كما يتناول الكتاب المرقوم، وفضضتُهُ كما يفضّ الرحيق المختوم، واطّلعت عليه فوجدتُهُ حوى من المباني أدقَّها، ومن المعاني أرقها، ومن النثرِ أعلاه، ومن النظم أحلاه؛ ارتحت لعيانه، واهتززت لعنوانه؛ إذ قد جمع فيه الأجناس ومما لا يستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس، فلو شامهُ (البهائي) قبل تأليف (مِخْلاته وكَشْكوله) لاعترف لهذا المؤلف وارعوى من فضوله، وهو حضرة العالم الهمام، النَوْذَعِيُّ الإمام، ولدنا السيد أحمد الهاشمي ـ أكثر الله من أمثاله بجاه النبي وآله.

٤ ـ وكتب إليّ فضيلة أستاذي المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول بوزارة المعارف العمومية، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم: أي بنيّ الجهبذ النحرير والفذّ العبقريّ (السيد أحمد الهاشمي)، قد تصفَّحت مجموعتك المختارة التي أسميتها: (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) فإذا هي دائرة معارف كبرى لا يستغني عنها أديب، كلها صِحاح وعلمٌ صُراح:

ومَـا عَـسَـى أن يـقـال فـي وصـف صـحـاحِ الـجَـوْهـرِي

إي وربِّي إنه لكتاب صرّح على المخض زُبدُه، وأسفر عن الأدب، فلم تتلفَّع بفضل مئزرها دَعْد، وانفردت سطوره عن فضل اختيار، وتعرى ليل عن بياض نهار، جلاه الفرناس، على صفحات القرطاس.

اختار في كتابه هذا من منتخبات الكتَّاب والشعراء ما يشفي الغلَّة، ويروي الصّدى، ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوابها، وميَّز أبكارها من أترابها، وأهدى إلى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقَّة، ويسيل كالماء عذوبة، يمتزجُ بالنفوس لنفاستِه، ويشرب بالقلوب لسلاسته:

أحاديثُ لو صِيغَتْ لألْهت بحـنها عن الوَشْي أو شُمّت لأغنَتْ عَنِ المِسْكِ

وبعد، فإن سنن مؤلفك العظيم القويم، ما مني بِشيْنٍ، فخشيت عليه العين. وما أطيب الخُزامى في قول بعض القُدامَى:

مـا كـانَ أحـوجَ ذا الـكـمـالِ إلـى عـيـبٍ يُـوقـيـه مِـنَ الـعـيـنِ

كيف لا، وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفلّ الحز، ويطبق المفصل، له حلى من البلاغة يتقلّدها، فيكاد السحر يحسدها، يدل عليه بيانُه، كما يدلّ على الجواد عنانه ـ فمن عرفهُ فقد اكتفى ـ ومن قصر فلينشد:

قـد عـرفـنـاك بـاخـتـيـارِكَ إذ كـا نَ دلـيـلاً عـلـى الـلـبـيـبِ اخـتـيـارُهْ

فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال في المجالس، وخفة المدار في المدارس بل إن هذا الكتاب ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1] جزى الله مؤلِّفَهُ خير الجزاء، وأثابه أحسن المثوبة، وأكثر في الأمة من أمثاله، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال.

٥ ـ وكتب إليّ صديقي المرحوم حسن أفندي توفيق العدل المُدرِّس بكلية كمبردج بإنجلترا:

عزيزي حضرة الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمي.

---

(١) الإسراء: ٩.

تشرفت بكتابك المُسمّى (**جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**)فوجدت بين اسمه ومسمّاه مناسبة اقتضاها طبعك السليم، واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم. فما أنفس فرائده، وأثمن فوائده، وأفصح مقاله، وأفسح مجاله. صدر هذا الكتاب عن علم سابق، وفكر ثاقب، وذهن رائق، ونفس صادق، ورويّةٍ ملأت تصانيفها المغارب والمشارق، فأكرم بهِ من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب، إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين عن نغمات القوانين، وإذا تأمله الأريب نزَه طرفهُ رياض البساتين، قد سوّر على كل فنّ من البديع باب، لا يدخله إلّا من خُصَّ من البلاغة باللباب؛ والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب.

٦ -وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول مخاطباً مؤلف هذا الكتاب:

كتابك هذا يا أستاذ فضل ونعمة. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1] وإنه لدائرة معارف أدبية كبرى، وأنفس كتاب أُلِّف في اللغة العربية وتاريخ آدابها، صدر عن تجربة وحكمة. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[2].

إليكم معشر الكُتاب[3]

أمّا بعدُ، حَفِظَكم الله يا أهلَ صناعة الكتابة وحاطكم ووَفَّقكم وأرشدكم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلَ الناسَ بعدَ الأنبياء والمُرسَلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعدِ المُلوك المُكرَّمين أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة سواءً وصرَّفهم في صُنوف الصِناعات وضُرُوب المحاولات إلى أسباب مَعاشهم وأبواب أرزاقهم. فجعلكم معشرَ الكُتّاب في أشرف الجهات أهلَ الأدب والمُرُوءة والعلمِ والرِّواية، بكم تَنْتظِم للخلافة محاسِنُها، وتَستقِيمُ أُمورُها، وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سُلطانهم ويعْمُرُ بُلدانَهُم. لا يستغني الملكُ عنكم ولا يوجد كاف إلّا منكم.

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

(٣) رسالة عبد الحميد الكاتب إلى كتّاب الدواوين في عصره.

فَموقعكُم من الملوك موقعُ أسماعهم التي بها يَسْمَعُون، وأبصارهم التي بها يُبصِرون، وألسِنتهم التي بها يَنطِقون، وأيديهم التي بها يَبْطُشُون[١]. فأمتعَكم[٢] الله بما خصّكم من فضل صِناعتكم ولا نَزعَ عنكم ما أضْفاه[٣] من النّعمة عليكم. وليس أحد من أهل الصناعات كُلِّها أحوجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمُودَة وخِصال الفضل المذكورة المعدُودة منكم.

أيها الكُتّاب، إذا كُنتم على ما يأتي في هذا الكِتاب مِن صفتكم فإن الكاتبَ يحتاجُ مِن نفسِهِ ويحتاج منهُ صاحبهُ الذي يَثِقُ بِهِ في مُهمّات أمُوره أن يكونَ حليماً في مَوضع الحِلْم، فَهيماً في موضع الحُكْم، مِقْداماً في مَوضع الإقدام، مِحْجاماً في موضع الإحجام[٤]، مُؤثِراً[٥] للعفَافِ والعَدلِ والإنصاف، كَتُوماً للأسرار، وفيّاً عند الشّدائد عالماً بما يأتي من النّوازل يضَعُ الأمور مَواضِعَها والطّوارق[٦] أماكِنَها. قد نظر في كلّ فنّ من فنون العلم فأحكمهُ وإن لم يُحكِمْهُ أخذ منهُ بمقدار ما يكتفي بهِ. يعرِف بغريزة عَقله وحُسن أدبِهِ وفضل تجْرِبَتِهِ ما يردُ عليهِ قبلَ وُرُوده، وعَاقبةَ ما يصدرُ عنهُ قبل صدُوره فيَعدُّ لكلّ أمرٍ عُدَّتهُ[٧] وعتاده[٨]. ويُهيِّئُ لكلّ وَجه هيئته وعادته. فتنافسُوا يا معشرَ الكُتّابِ في صُنُوف الآدابِ وتفقّهوا في الدّين وابدؤوا بعلم كتاب الله عزَّ وجلّ والفَرائِضَ ثُم العرَبِيّة فإنها ثِقافُ[٩] ألسِنَتِكُم، ثم أجيدُوا الخط فإنهُ حِليةُ كتابتِكم، وارْووا الأشعارَ وأعْرِفوا غريبها ومعانيها وأيامَ العربِ والعجَم وأحاديثها وسِيرَها، فإنّ ذلك مُعين لكم على ما تسمُو إليهِ هِمَمكُم. ولا تُضَيّعوا النّظر في الحساب فإنّه قَوَام[١٠] كُتّاب الخَرَاج. وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنيّها[١١] ودَنيّها، وسفَساف[١٢] الأُمُور ومحاقرها، فإنها مذلّة للرّقاب مفسدةٌ للكُتّاب. ونزّهُوا صناعتكم عن الدّناءَةِ وارْبَؤوا[١٣] بأنفسكم عن السّعاية والنّميمةِ وما فيهِ أهلُ الجهالات.

---

(١) يبطشون: يدافعون. (٢) أمتعكم: أبقاكم. (٣) أضفاه: أفاضه.
(٤) الإحجام: التأخر. (٥) مؤثراً: مختاراً له.
(٦) الطوارق: مفردها الطارق، الحادث. (٧) عدتّه: ما أعددته لحوادث الدهر.
(٨) عتاده: العدة. (٩) ثقاف ألستكم: تعديلها.
(١٠) قوام: نظام. (١١) سنيّها: رفيعها.
(١٢) سفساف: الرديء من كل شيء وعمل. (١٣) اربأوا: أعرضوا وفروا.

وإيّاكم والكِبْر والصَّلَفَ والعظَمَةَ فإنها عدَاوَةٌ مُجتَلَبَةٌ من غير إِحْنَةٍ[١] وتحابّوا في الله عزّ وجلّ في صِناعتكم وتواصَوْا عليها بالذي هو أليقُ لأهل الفضل والعدل والنُّبل[٢] من سَلفِكم. وإن نبَا[٣] الزّمانُ برجلٍ منكم فاعْطفوا عليهِ ووَاسُوه حتى يرجع إليهِ حاله ويثُوبَ[٤] إليهِ أمرُهُ. وإن أقعدَ أحداً منكم الكبَرُ عن مَكسَبهِ ولقاءِ إخوانه فزُورُوهُ وعَظِّمُوهُ وشاورُوه واستظهِرُوا بفضلِ تجْربتهِ وقديم مَعرفتهِ، وليكن الرَّجلُ منكم على مَن اصْطنعه واستظهرَ بِهِ ليوم حاجته إليهِ أحْفَظَ منهُ على وَلده وأخيه فإن عَرَضتْ في الشُّغل مِحمدةٌ فلا يصرفُها إلَّا إلى صَاحبِهِ، وإن عَرَضت مذمَّةٌ فليحْملها هُو مِنْ دونه.

ولْيحذر السّقطة والزَّلّة والملَلَ عند تغَيّر الحال فإن العيبَ إليكم معشرَ الكُتّاب أسرع منهُ إلى الفِراء[٥] وهو لكم أفسدُ منهُ لها. فقد علمتم أنّ الرّجلَ منكم إذا صحبهُ مَنْ يَبْذُلُ لهُ مِن نفسهِ ما يجبْ له عليه من حقّه فواجبٌ عليهِ أن يعتقدَ لَه من وَفائهِ وشُكره، واحتماله وخَيره ونَصيحته وكتمان سِرّه وتدبير أمره ما هو جزاءٌ لحقّه ويُصدّق ذلك فِعْلهُ له عندَ الحاجة إليه والاضْطرار إلى ما لديه، فاستشعروا ذلك وفّقكم الله من أنفسكم في حالة الرَّخاء والشِّدَّة والحِرمان والمُواساة والإحسان والسَّرَّاء والضَّرَّاء فَنعمت الشّيمةُ هذه مِمَّنْ وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشَّريفة.

وإذا وَليَ الرَّجلُ منكم أو صُيِّرَ إليه من أمر خلق الله أمرٌ فليُراقب الله عزَّ وجلَّ وليُؤْثِر طاعته وليكُنْ على الضعيف رَفيقاً وللمظلوم مُنصفاً، فإنّ الخلق عِيالُ الله وأحَبَّهم إليهِ أرفقُهُمْ بعياله. ثم ليكنْ بالعَدل حاكماً وللأشراف مُكْرماً وللفيْءِ[٦] مُوَفِّراً وللبلاد عَامراً وللرَّعيّةِ مُتألفاً وعن أذاهم مُتخَلِّفاً. وليكن في مجلسهِ مُتواضعاً حلِيماً وفي سِجلّات خراجه واستقصاء حقُوقه دقيقاً. وإذا صَحِبَ أحدكم رجلاً فليختبر خَلائِقَهُ فإذا عَرَفَ حَسَنَها وقبيحَها أعانه على ما يُوَافِقهُ من الحَسَن واحْتالَ على صرْفِه عمّا يهواه مِن القبيح بألطف حيلةٍ وأجملِ وَسيلة.

---

(١) إحنة: إضمار حقد وسبق عداوة.
(٢) النبل: الذكاء والنجابة.
(٣) نبا: قصر ونفر.
(٤) يثوب: يرجع.
(٥) الفراء: الجلد لأنه سريع العطب.
(٦) الفيء: الغنيمة والخراج.

وقد علمتم أنَّ سائس البَهيمة إذا كان بصيراً بسياستها الْتَمسَ معرفة أخلاقها؛ فإن كانت رَمُوحاً لم يُهِجْها إذا ركبها، وإن كانت شَبُوباً اتّقاها من بيْن يديها وإن خافَ منها شرُوداً تَوَقّاها من ناحية رأسها وإن كانت حَرُوناً قمع هَواها بِرِفقٍ في طريقها[١]، فإن استمرَّت عَطفها يسيراً فيُساسُ[٢] له قيادُها. وفي هذا الوصف من السّياسة دلائلُ لمن ساس الناس وعاملَهم وجرّبهم ودَاخَلهم. والكاتبُ بفضلِ أدبه وشَرِيف صَنعته ولطيفِ حيلته ومُعاملتهِ لمن يُحاول من النّاس ويناظرُه ويفهم عنهُ أو يخاف سَطوتهُ، أولى بالرّفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوْدهِ من سائس البهيمة التي لا تفقَهُ جواباً ولا تعرف صَوَاباً ولا تفهم خطاباً إلّا بقدر ما يُصيّرها إليه صاحبُها الرّاكب عليها. ألا فامْعِنُوا رَحِمكم الله في النّظر واعملوا ما أمكنَكم فيه من الرّويَّة والفِكْر تأمنوا بإذن الله ممن صحبْتمُوه النَّبْوَة[٣] والاستثقال والجَفوَة ويَصرْ منكم إلى الموافقة وتَصيروا منهُ إلى المؤاخاةِ والشَّفقة إن شاء الله.

ولا يُجاوِزَنّ الرَّجلُ منكم في هَيئة مَجلسِهِ ومَلبَسِهِ ومَرْكبهِ ومَطْعَمهِ ومَشْرَبهِ وخدَمهِ وغَيْرِ ذلك من فُنون أمره قدْرَ حَقّه، فإنكم مع ما فَضَّلكم به الله من شرف صنْعتكم خدمة لا تُحْملون في خدْمتكم على التقصير وحفظةٌ لا تُحْتملُ منكم أفعال التّضييع والتّبذير. واستعينُوا على أفعالكم بالقصد في كلّ ما ذكرتهُ لكم وقَصصْتُه عليكم. واحذرُوا متالف السَّرف وسوء عاقبة التَّرف[٤] فإنهما يُعْقبان الفقرَ وبذلّان الرّقابَ ويَفضحان أهلهما ولا سيَّما الكُتَّابَ وأربابَ الآداب. وللأمور أشباه وبعضها دليلٌ على بعضٍ فاستدلُّوا على مُؤْتنف[٥] أعمالكم بما سبقتْ إليهِ تَجربتكُم ثم اسلكوا من مسَالك التدْبير أوضحَها محجّة وأصدقها حُجّة وأحمدَها عاقبةً. واعلموا أنّ للتدْبير آفةً مُتْلفةً وهو الوصفُ الشّاغلُ لصاحبهِ عن إنفاذ علمه ورُؤيته، فلْيقْصدِ الرَّجلُ منكم في مجلسه قصدَ الكافي من مَنطقه، وليوجزْ في ابتدائه وجوابهِ ولْيأخذْ بمجامع حُججهِ، فإنّ ذلك مصلحةٌ لفِعله ومدْفعةٌ للشّاغل من إكثاره.

---

(١) طريقها: في مرة من المرات.
(٢) وفي نسخة: يسلس أي: ينقاد ويسهل.
(٣) النّبوة: القبح.
(٤) الترف: التنعم.
(٥) مؤتنف: مبدأ.

ولْيضرعْ إلى الله في صِلة توفيقهِ وإمداده بتسديده مخافة وقُوعهِ في الغلط المُضرّ ببدنِهِ وعقله وأدبهِ فإنهُ إنْ ظَنّ منكم ظَانٌّ أو قال قائلٌ إنّ الذي بَرز من جميل صنعتهِ وقُوّة حركته إنّما هو بفضل حِيلتهِ وحُسن تدبيره فقد تعرَّض بحسن ظنّه أو مقَالتهِ إلى أن يكلَه الله عزَّ وجلَّ إلى نفسهِ فيصيرُ منها إلى غير كافٍ، وذلك على مَنْ تأمّلهُ غيرُ خافٍ.

ولا يقلْ أحدٌ منكم إنّه أبْصرُ بالأمور وأحملُ لعِبْءِ التدْبير من مُرافقهِ في صناعتهِ ومُصاحبه في خِدْمته فإنّ أعقلَ الرَّجلين عند ذوي الألباب مَنْ رَمَى بالعُجب وَراء ظَهرِه ورَأى أنّ صاحبه أعقلُ منهُ وأجمل في طريقتهِ.

وعلى كلّ واحدٍ من الفريقين أن يعرف فضلَ نعم الله عَليْه جلَّ ثناؤه من غير اغترارٍ برأيه ولا تزكية لنفسه، ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره، وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتَّواضُع لعَظَمتِهِ والتَّذلُّل لعِزَّته والتحدُّث بنعمته.

وأنا أقُول في كِتابي هذا ما سبق به المَثَلُ (مَنْ تَلزَمُه النّصيحة يلزَمه العَمل)، وهو (جَواهر) هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله جلّ جلاله. فلذلك جعلتهُ آخره وتمَّمتُه به، تَولّانا الله وإياكم يا معشَر الكَتبة بما يتولَّى به مَنْ سبق علمه بإسعاده وإرشاده فإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ.

عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢هـ[1]

(١)هو عبد الحميد بن يحيى العامري، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين، قتله السفاح ١٣٢هـ.

تمهيد في مبادئ علم الأدب

الأدب عبارةٌ عن معرفة ما يُحترَز به من جميع أنواع الخطأ. وهو قسمان: طبعيٌّ وكسبيٌّ. فالطبعيُّ ما فُطرَ عليهِ الإنسانُ من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحِلم. والكسبيُّ ما اكتسبهُ بالدّرْس والحفظ والنَّظر، وهو المقصود لنا في هذا الكتاب. فحينئذٍ يعرَّفُ بأنهُ علمٌ صناعيٌّ تُعرَف به أساليبُ الكلام البليغ في كلّ حال من أحواله، وهو المدعو (بعلم الأدب).

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثُور من حيثُ فصاحتُه وبلاغتُه.

وغايته الإجادةُ في فنّي المنظُوم والمنثور على أساليب العرب وتهذيبُ العقل وتذكية الجنَان.

وفائدتهُ: أنهُ يعصمُ صاحبه من زَلَّةِ الجهل، وأنهُ يُروِّض الأخلاق ويُليّنُ الطبائعَ، وأنهُ يُعين على المُرُوءَة وينهض بالهِمَم إلى طلب المعالي والأمور الشَّريفة.

وأركانه أربعة: الأول: قُوَى العقل الغريزيّةُ وهي خَمسةٌ: الذَّكاء[١]، والخيال[٢]، والحافظة[٣]، والحِسُّ[٤]، والذّوق[٥].

---

(١) الذكاء: الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر. وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة.

(٢) الخيال: قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة.

(٣) الحافظة: قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة.

(٤) الحسّ: قوة يتأثر بها الإنسان من صور المدركات كاللذة والألم. وهو من شروط الكتابة إذ يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسماً محكماً فيقتدر إذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب. ألا ترى أن الكلام العذب إذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة؟

(٥) الذوق: قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الأخلاق والآداب.

الثاني: معرفةُ الأصول وهي مجموع قَوانين الكتابة وفيها تِبْيَان طُرق حُسن التّأليف وضُروب الإنشاء وفنون الخطابة.

وتنقسم هذه الأصول إلى قسمين: عامة وخاصة. فالعامّة كالتآليف الأدبيّة، من مَنظوم ومنثور في أغراضٍ شتَّى. والخاصّة كالتآليف المُفردة بالرّسائل أو بالأمثال.

الثالث: مُطالعة تَصانيف البُلغاء بالتّأني والتَّبصُّر فيها ليدَّخِر الكاتب كل لفظ مُؤنقٍ شَريف وكلّ معنى بديع بحيثُ يتصرَّف بهما عند الضَّرورة.

وشروطها ثلاثةٌ: **الأول**: أن يسْتَقلَّ المطالع ببعض علماء اللُّغة وأئمة الأدب فيقتصر على درسهم حتى يَنسجَ على مِنوالهم. **الثاني**: أن يُطيل النَّظر في هذه المُطالعة ويُرَدّد مِرَاراً ما استحسنهُ من تصانيفهم كي يُرَوّضَ الذّهن في حلبة[١] سباقهم فيقفَ على غريب أُسلُوبهم وعجيب تركيبهم. **الثالث**: أن ينتقي منها شيئاً مما استجاده[٢] من اللَّفظ الحُرّ والتَّراكيب الصّحيحة والمعاني البليغة لتكون ذُخراً لذاكرته ومهمازاً[٣] لقريحتِه.

الرابع: الارْتياضُ وهو التّدرُّب بوجوه الإنشاء بأن تتوسّع في شَرح بعض المعاني فتُبينه بأوْجُه شتَّى وتُنَمقه بأشكال البديع، وبأن تجتهد في وضع بعض مواضيعَ وجيزةٍ فَتَصوغ تارةً وصفَ مدينة أو مدحاً أو تهنئة، وأخرى تَسرُدُ مثلاً أو تسبك روايةً إلى غير ذلك، وأن تَحْذُوَ حَذْوَ المُتقدّمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومَعَانيهم وبأنْ تَحُلَّ النَّظْم فَتأتيَ به نثراً أنيقاً[٤]، وتعقدَ النَّثر فتصوغَه صَوغاً رَشيقاً[٥].

مقدمة في علم الإنشاء

الإنشاء لغةً: الشّروع والإيجاد والوضع. تقول: أنشأ الغلامُ يَمشي إذَا شَرَع في المَشْي، وأنشأ الله العالم: أوجدهُمْ، وأنشأ فلانٌ الحديثَ: وضعه.

(١) حلبة: ميدان سباق الخيل. (٢) استجاده: وجده جيداً.
(٣) مهماز: حديدة تكون في مؤخر خف الرائض للمهر.
(٤) أنيقاً: معجباً. (٥) رشيقاً: حسناً.

واصطلاحاً : علم يُعرَفُ به كَيفيةُ استنباط المعاني وتأليفها مع التَّعبير عنها بلفظٍ لائقٍ بالمقام، وهو مُستَمدّ من جَميع العلُوم. وذلك لأن الكاتب لا يستغني صنفاً من الكتابة فيخوضُ في كل المباحث ويتعمد الإنشاء في كلّ المعارف البشرية. وينحصر المقصود منه في ثلاثة أبواب وخاتمة ومُلحق.